المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:05، العدد:02 (2021)، ص774-785

تأثير الشعر الشعبي في التعبئة الجماهيرية خلال الثورة التحريرية (الولاية الرابعة أنموذجا)

The effect of popular poetry on mass mobilization during the liberation revolution (the fourth term as a model

نورة سلاني
جامعة علي لونيسي - البليدة 02 (الجزائر)
sellani16280gmail,com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/10/22
تاريخ القبول:
2021/12/08

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الشعر الشعبي
- ✓ الولاية الرابعة
- ✓ الثورة الجزائرية

الملخص:

لقد نجحت عبقرية الشعر الشعبي في تقديم كل الحجج والبراهين وكل المقومات التي تجعل منه شعرا إنسانيا أصيلا وراقيا. وذلك من خلال الدور الفعال الذي لعبه هذا الشعر في الولاية الرابعة خلال الثورة التحريرية، في كشف حقيقة المستعمر الفرنسي الذي يهدف إلى هدم الأساس الحضاري الجزائري وطمس الشخصية الجزائرية وتشكيك في ماضيه وحاضره حتى لا يكون له مستقبل. هذا المستعمر الذي يريد أن يستولي على ثروتنا الثقافية والفكرية مثلما استولى على أراضينا، وقد استعمل المستعمر الفرنسي كل جهوده وسخر كل الإمكانات لجعل الجزائريين يؤمنون بقوله " بأنهم أمة متخلفة لا حضارة لها ولا علم ولا أدب وعلى من يريد الخلاص من هذا التخلف الحضاري والثقافي ما عليه إلا أن يتبعه". كما سعى المستعمر إلى زعزعة إيمان الفرد الجزائري والتشكيك في قدراته، وهذا كله يندرج في نطاق المخطط الاستعماري الذي يهدف إلى هدم الثقافة الجزائرية، ولقد لجأ الأفراد في الولاية الرابعة إلى الشعر الشعبي كسلاح قوي ضد المستعمر يعبر عن مشاعر وأحاسيس تمثل أمالهم وأحلامهم وتترجم به أفكارهم، ومهما تباينت درجاتهم ومستوياتهم فقد أقبلوا عليه، تناقلوه شفاها وحفظوه في صدورهم، فكان خير محرض للجماهير وداعم لجنود جيش التحرير الوطني على الكفاح دون هوان.

Article info

Received:
22/10/2021
Accepted:
08/12/2021

Key words:
- ✓ Folk Poetrymass
- ✓ Fourth State
- ✓ Algerian Revolution

Abstract:

The genius of popular poetry has succeeded in presenting all the arguments and proofs and all the ingredients that make it an authentic and upscale human poetry. And that is through the effective role that this poetry played in the fourth term during the liberation revolution, in revealing the truth of the French colonizer, which aims to destroy the foundation of Algerian civilization, obliterate the Algerian personality and question its past and present so that it does not have a future. This colonizer who wants to seize our cultural and intellectual wealth just as he seized our lands. only to follow him." The colonizer also sought to destabilize the faith of the Algerian individual and question his capabilities, and this all falls within the scope of the colonial scheme that aims to destroy the Algerian culture. Individuals in the fourth state resorted to popular poetry as a powerful weapon against the colonizer, expressing feelings and feelings that represent their hopes and dreams and translate their ideas into it. And no matter how different their ranks and levels, they turned to him, transmitted it verbally and kept it in their chests, and he was the best instigator for the masses and a supporter of the soldiers of the National Liberation Army to struggle without humiliation.

تأثير الشعر الشعبي في التعبئة الجماهيرية خلال الثورة التحريرية (الولاية الرابعة أنموذجا)

مقدمة

لقد سجل الشعر الشعبي في الولاية الرابعة الانتصارات والمعارك والأحداث ورصد دقات القلوب ونقل إلينا أحاسيسه وهذا ما هو إلا دليل على صدق الإحساس والتعبير مما يجعلنا نعيش هذه التجربة ويؤثر فينا. ويكفي أن نقول إن هذه الأشعار التي نقلت إلينا مكتوبة أو مشافهة بزمانها أو مكانها وبخيرها وشرها يكفي أنها تبدو وكأنها تخاطب ضمائرنا بأن لا نرضى أبدا بالاحتلال، وهي رسالة جاءت بأفكار نبيلة بسيطة نابعة من روح تراثنا وواقع الحياة والظروف المعاشة مما يجعلنا نهتم بهذا النوع من الشعر الذي يستحق منا كل العناية.

فالمستعمر الفرنسي لم يدرك خطر الشعر الشعبي في الولاية الرابعة الذي كان أشد خطرا عليه من الشعر الفصيح الذي يستطيع أن يزيفه أو يسيطر على تعليمه وتداوله ودراسته، أما الشعر الشعبي فكان سلاحا في يد الشعب لا يمكن تفاديه أو إبطال مفعوله لأنه انتقل من شفة إلى شفة ومن صدر إلى صدر آخر.

وإذا كنا نحن الآن نعيش الاستقلال والحرية وعند سماعنا لهذا الشعر أثر فينا أشد التأثير **فما بالك في الذين كانوا يعيشون الظلم والاستعمار والقمع والحرمان؟**

1. تعريف الشعر الشعبي

الشعر الشعبي هو شعر تقليدي مقوا باللهجة العامية (الدارجة) [1]، وهو من حيث أسسه الفنية شديد الشبه بالشعر الفصيح ولكن يتميز عنه بعدم الإلمام بالإعراب والقواعد الصرفية، والنحوية، وكذلك استعماله الأسماء والمصطلحات المحلية [2]. ويعد ابداعا شفويا ونمطا من أنماط الثقافة الشعبية ظهر منذ القديم في أقطار المغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، وتتعلق نشأته بدخول الهلاليين إلى إفريقيا مع منتصف القرن الخامس الهجري أو ربما قبل زحف بني هلال إلى الشمال الإفريقي.

ويطلق كلام منظوم من بيئة شعبية بلهجة عامية تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب، ومن مميزاته أنه ينقل من جيل إلى جيل مشافهة وأن يكتب ويلقى شعرا أو مغنى بلحن. وقائله قد يكون أميا وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثل المتلقي أيضا [3].

وهناك الكثير من يرى أن الشعر الشعبي أو العامي لا يختلف عن الفصيح، سوى في كون صاحبه لا يجيد اللغة الفصحى مما يجعله يهرب إلى العامية ليعبر من خلالها عن مشاعره، فيجيد فيها سهولة نقل ما يجول بخاطره. أو أن صاحبه يبسط الفصحى ليفهمه عامة الناس.

وقد اختلفت تسمية الشعر الشعبي باختلاف الإطلاق الذي شاع استعماله في البيئة المحلية [4]، فيسمى في اليمن "**الحميني**" [5]، وفي الشام ومصر والعراق "**الموال**" [6]، وفي دول الخليج "**النبطي**" [7]، وفي المغرب العربي "**الملحون**" [8]. وكل هذه التسميات تصب في اسم واحد هو الشعر الشعبي.

وينقسم الشعر الشعبي إلى:

- شعر المدح حيث يتعرض هذا النوع من الشعر لمدح الابطال الذين أبلوا بلاء حسنا في المعارك بالإضافة إلى ذكر محاسن ومساوئ الأشخاص [9].

– شعر الوصف حيث للطبيعة نصيب كبير في هذا النوع من الشعر كوصف الجبال والانهار والصحراء وكذلك وصف الحروب.

– شعر المراسلات وهذا النوع يكون على شكل رسالة مثلا شخص يبعث بها لشخص آخر يشكو حاله.

– شعر الألغاز وهو نوع يكون زاخرا بالألغاز وفي مجالس هذا النوع من الشعر نجد الناس يتبارزون فتطيب جلساتهم.

– أشعار النصح (الشعر الديني) يحظى هذا النوع من الشعر باهتمام كبير وله تقدير عند الجميع ويغلب عليه النصح وطلب التمسك بأعمدة الدين والنصح بالكرم وإجارة المستجير ومحاربة الظالم والمعتدي.

– أشعار الشكوى والطلب كأن يكون للشعر طلبا خاصا أو مطلب جماعي وغالبا تكون هذه الأشعار عبارة عن شكوى لله تعالى أو لحاكم من الظلم.

– شعر الغزل ويكون بوصف المحبوبة وجمالها [10]، ولكن تظل الكلمات في حدود الآداب.

– الشعر القصصي وهي بمثابة ملاحم زاخرة بالمعاني والأهداف فيروي الشاعر قصة حرب أو ثورة أو سفر...الخ.

– الشعر القومي ونجده في مناهضة الاستعمار، فقد أخذ الشعر الشعبي على عاتقه مسؤولية قومية بأبعادها المختلفة [11].

– شعر الحماسة لعب دورا هاما في الثورة الجزائرية، فكان شاعر نضال ورفيق السلاح وحامل الرسالة، وهذا إما هجوما على المحتلين الكفار أو هيجاء لهم، فقد كان يصوغ أحداث الثورة ومعاركها شعرا ونشيدا بهدف زرع الحماس في أوساط الافراد [12].

2. الشعر الشعبي في الولاية الرابعة

يرى العلامة ابن خلدون: "**أن الاجتماع الإنساني ضروري، ويحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه، لأن الله سبحانه وتعالى لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينهما جعل حظوظ كثيرة من الحيوانات أكمل من حظ الإنسان...ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمدافعته...أما الواحد من البشر لا تقوم قدرته فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدة للمدافعة...فلا بد من ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه، وإذا لم يكن هذا التعاون لا تتم حياته**" [13].

فحسب العلامة فالفرد بدون مجتمع لا يساوي شيء ولا قيمة له في هذه، وإنما تكمن قيمته داخل الحياة الاجتماعية التي تفرض عليه التعاون مع الجماعة والانصهار في بوتقة واحدة عن طريق الحياة الاجتماعية التي تفرض وجوده وتبدو قيمته كإنسان متميز والحياة الاجتماعية هي الضمان الأساسي لحياة الأفراد والتي يحافظ بها الإنسان على بقائه على قيد الحياة بما توفر له من وسائل الحياة وكذلك الشيء الأساسي وهو الحماية من الخطر، ومن حق الإنسان أن يدافع عن نفسه من الخطر الذي يهدده ويضمن سلامته وأمنه. وهذا لا يكون إلا

بالقوة التي تعتبر الوسيلة الوحيدة لإعادة الحق إلى أصحابه، وهي الفكرة نجدها أيضا عند الفيلسوف الألماني "**نيتشه**"، وكذلك الفيلسوف الإيطالي "**ميكيافيلي**".

كان الشعر الشعبي في الولاية الرابعة مقالا باللغة العامية، مرتبط بالأفراد وملتصقا بحياتهم البسيطة ومعبرا عن آمالهم وآلامهم محققا لهم الغذاء الروحي الذين يحتاجون إليه، واستطاع هذا الشعر أن ينفذ إلى جميع الأفراد على مختلف مستوياتهم الثقافية تاركا فيهم انفعال وتأثير كبيرين، بلغته البسيطة الدارجة البعيدة عن التنمق والبلاغة.

ويرى الكاتب ألبيرت ميمي أنه: "**قد غلبت على هذا الشعر نبرة الخطابة والتحدي والانفعال وكان لهذا الشعر جمهورا من الأندية والجمعيات الثقافية والمهرجانات الوطنية والمدرسية، وكان شباب الكشافة ينشدونه في حلقاتهم وفي الأعياد وليالي رمضان، تتضمنه كلمات تهز السامعين وتثير حماسهم**" [14].

ويعتبر الشاعر الشعبي في الولاية الرابعة بطريقة أو بأخرى هو الذي جعل من الشعر وسيلة للتحريض ولتفجير القوة الكامنة في بني شعبه. فقد أحس هذا الشاعر في أعماقه بالحاجة إلى تغيير الواقع وبالمسؤولية اتجاه مجتمعه واتجاه التاريخ فجاءت كلمات شعره احتجاجية وغاضبة من الظلم الذي فرضه عليه الاستعمار ووعيه بالفقر والاستعباد والاستغلال والقهر الذي يعيشه الشعب الجزائري. وبهذا حاول الدخول إلى وجدان الجماهير الشعبية لتفجير وعيهم وقوتهم وإقناعهم بضرورة الجهاد وتغيير هذا الواقع والانتقال إلى واقع جديد وشحنهم بقوة روحية محركة ودافعة وتجميع طاقاتهم وقدراتهم لمحاربة العدو وإيقاظ الشعور الوطني فيهم. فالشعر الشعبي في الولاية الرابعة لم يكن يصدر عن الطبقة المثقفة أو من المحترفين فقط بل كان أيضا من المرأة الريفية في بيتها ومن العجائز والشيوخ ومن الفلاح ومن المجاهد والمناضل...إلخ، مفجرين به ما يجول بخواطرهم ومترجمين الظروف القاسية والصعبة التي يعيشونها من جراء الاستعمار. وبهذا استطاع والشعر الشعبي في الولاية الرابعة أن يكون شاهدا وأن يؤرخ لكل المعارك والعمليات والاحداث التي جرت بهذه الولاية ومختلف مناطقها.

فكل ما جاء به الشاعر الشعبي في الولاية الرابعة هو تصور لما يعتمر في النفس من خواطر وترجمة ما يضطره في الداخل من ثورة على الظلم وتنبيه لمن فقدوا ضمائرهم وعجزوا عن مواجهة أعدائهم، داعيا كل أفراد مجتمعه إلى ركوب الأهوال ومنازلة الأعداء وحمل السلاح وأصبح شعره وسيلة للدفاع والهجوم، يقاتل بها مثل البندقية والرشاش، ويقذف طلقات نارية شعرية تأثر في الجماهير وفي مشاعرهم، حاثا على المثابرة ومحرضا على الجهاد ومواصلة النضال حتى نيل الحرية، والإنذار بالخسارة في الدنيا والآخرة لمن استمر في القعود عن الجهاد [15].

وأول قصيدة للشعر الشعبي التحريضي قبل الثورة التحريرية في هذه الولاية هي قصيدة "**دخول الفرانسيس**" للشيخ "**محمد عبد القادر**" ولقد لعبت هذه القصيدة المشهورة الدور الكبير في ظهور وتأييد شعر المقاومة، وقد

سكن هذا الشاعر العاصمة وكان قد عاصر دخول المحتل وأحب وطنه وتألم لمأساة شعبهن ومن بين أبيات هذه القصيدة ما يلي:

جاء من البحر بجنود قاويـــن غاب الحساب وتلف حسابهما

اليوم جاو للبهجة مشتديـــــن وين راهي سلطانة المدن الجميلة

ولات في يـــــد أعـــــدانا ولات للنصارا شينـــين الدين

كما تعرض الشاعر إلى شجاعة الشعب الجزائري الذي يؤكدها بكلماته: "**أهنا الناس تظهر وتبان أخبارها**"، كما أن هناك أغاني وأشعار كثيرة منها أغنية "**متيجة أم الفقير**"[16]. وبهذا فإن هذه القصيدة كانت كنقطة بداية لقاصدة شعبية ثورية رافضة للاستعمار الفرنسي ومحرضة على الجهاد والمقاومة.

إن الشاعر الشعبي في الولاية الرابعة وبالنسبة للجماهير الشعبية كان يهدف إلى:

- التحريض على الجهاد وتنوير العقول بخطر المستعمر الذي لا يزال ماثلا على ممتلكاتهم وحرياتهم.
- طلب التعاون، وأن الوقت قد حان لتلبية الدعوة للجهاد وأنه ليس هناك مجال للتقاعد والتواني.
- الاستعانة بالله القادر على كل شيء، وتصغير أمر جيوش المحتل الفرنسي، لنزع الخوف من القلوب.
- الإيمان بالنصر الذي هو منطلق من العقيدة الإسلامية.
- وضع الثقة في المجاهدين والسير على خطاهم، وأن يهبوا جميعا لمساعدتهم ونصرتهم، وأن الاستشهاد أهون من حياة الذل والمهانة.
- إثارة الحمية الدينية والغيرة على الوطن.
- إثارة العواطف وإيقاظ الضمائر ودعوتهم إلى الالتحاق بالصف وأن يخرجوا من الظلمات إلى النور.
- إبراز الشخصية الجزائرية المسلمة وخلق روح الصمود فيها.
- الحث على الاتحاد وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف.
- نفخ روح الجهاد في نفوس الجماهير وحثهم على الالتحاق بإخوانهم المجاهدين وتحرير البلاد.
- الجهاد في سبيل الله وطلب الشهادة في سبيل الله والوطن.
- مد العون والإمداد لأفراد جيش التحرير الوطني.
- شحذ الهمم للجهاد واستنهاض الجماهير النائمة وحثهم على القيام والرد على الزحوف الكثيفة للعدو المستعمر.

ولقد استخدم الشاعر الشعبي في الولاية الرابعة سلاحا قويا جدا لاستنهاض وتحريض الجماهير على الجهاد وهو "**الدين الإسلامي**" واستعمال الدين هو أسلوب تمتزج فيه العاطفة والجدية وتثار فيه العواطف وتوقظ فيه الضمائر، لأن "**كروموزوم**" [17] الدين الإسلامي متأصل في نفس الفرد الجزائري بالوراثة والقلوب تطمئن إليه، فالعقيدة لها مكانة كبيرة عند الإنسان الجزائري المسلم فهي بيته ومنطلق مشاعره وعنوان انتمائه.

وبهذا فالإسلام كان له الفضل في تعبئة الروح الجهادية التي لا تقهر في الإنسان المسلم، فجعل الجهاد ذروة الإسلام وحامي عزته وكرامته.

ومن جهة أخرى عرف الشاعر الشعبي أن ما يخافه المستعمر هو قوة الشعور الديني الإسلامي، لأن الإسلام دين يدعوا إلى العزة والكرامة ويأبى على المسلم أن يخضع لسواه وأن يذل، فالإسلام يحث الجماهير النائمة على القيام ويحرضهم على الأخذ بثأر لأهاليهم الشهداء ووطنهم المحتل والفوز بإحدى الحسنتين، إما النصر وإما الشهادة.

إن الشعر الشعبي في الولاية الرابعة كان دائما يصور رد فعل الشعب على كل الأحداث، وأصبح شاهدا على مأساة الشعب، واستطاع بجدارة أن يكون مهدا لنقل الكفاح من مرحلة المقاومة العفوية إلى مرحلة الوعي السياسي وتحقيق الاستقلال.

إن هدف الشاعر الشعبي في الولاية الرابعة هو جعل الفرد إنسانا مؤمنا قويا ممتلئا بالثقة ووفاء وصدقا وعزيمة وإصرارا، منفجرا في وجه المستعمر الفرنسي وهو في حمى وطنه متى احتاج إليه ويفديه بالنفس والنفيس.

وهذا ما هو إلا رسالة للاستجابة للنداء وتحريض الجماهير على أن يكونوا في طليعة جيش التحرير الوطني منطلقين وحاملين في صدورهم تعاليم الإسلام والهدف الذي خرجوا من أجله وهو النصر أو الشهادة.

والشاعر هنا أصبح هو الضمير الحي، الذي يحرض على قتال الأعداء وتحرير البلاد، وعند قراءتنا لشعره نحسن أن صوته يعلو ويعلو حتى نكاد نسمعه نحن الآن وهذا ما سنراه في الفصل القادم.

3. تأثير الشعر الشعبي في جيش التحرير الوطني

إن الشعر الشعبي في الولاية الرابعة أشد خطرا من الشعر الفصيح، لأن الاستعمار يستطيع أن يسيطر على تعليم وتداول وتدريس الفصيح، أما الشعر الشعبي فهو سلاح في يد الشعب لا يمكن تفاديه أو إبطال مفعوله وبهذا كان للشعر الشعبي دورا في توليد الروح الوطنية والتعبير عن أحوال الناس وآمالهم وأحلامهم، ويحرضهم ويبث القوة فيهم، فيتحول سكوتهم إلى غضب وبكاؤهم إلى فرح وأمل بالنصر والاستقلال.

ولقد لعب الشعر الشعبي دورا كبيرا في بث القوة والعزيمة في صفوف جيش التحرير الوطني للنيل من المستعمرين الفرنسيين الذين دخلوا بلادهم كالكلاب المسعورة حاملين معهم الفساد والخراب والخوف.

وبهذا جاء الشعر الشعبي داعيا للجهاد والمقاومة والدفاع مستعملا "**الكلمة**" كالسلاح مستنهضا همم المجاهدين وثائرا على الواقع، مستعملا الإقناع العاطفي والوجداني الذي له تأثير مضاعف ومباشر على الأشخاص.

فنجده يستعمل النداء والدعوة ومرة أخرى يمدح جيش التحرير الوطني بالشجاعة والنخوة ويذكرهم بها ليهبوا للجهاد ومرة أخرى يناقشهم في أسباب "**الدفاع والصمود**".

ويلجأ للتحريض والتأثير عليهم وهذا بتذكيرهم بالنساء التي اغتصبت والأطفال التي قتلت والأرض التي حرقت والقرى التي دمرت وإخوانهم الذين استشهدوا في صفوفهم ...إلخ.

وبهذه الصور المثيرة للأعصاب والأحاسيس التي تجعل الدم يغلي في العروق، يدعوهم بصريح العبارة إلى الجهاد والثأر وردع العدوان وأن الموت أهون من الذل والاستسلام.

فالشاعر يجتاز تجربة شعورية من خلال قصائده وهي مشاعر صادقة وأنها لو لم تكن كذلك لما كان لها كل عناصر التأثير، فكلماته تخرج من فمه، "**كاللهب**"، يلفح الوجود ويشعل النار في صفوف جيش التحرير الوطني، ويطلب من الله أن يعينه ويعين المجاهدين على بلوغ هذا الهدف السامي.

ومن خلال هذا نجد أن الشاعر الشعبي يهدف من وراء شعره إلى:

- إثارة النفوس والأعصاب بما يجود أو ينفع.
- الحمد لله.
- التذكير بقدرة الله سبحانه وتعالى على تحقيق النصر.
- التذكير برضا الله على المجاهدين وتبشيره بالجنة.
- تهيئة المجاهدين لخوض المعارك بدون هوان.
- تجنيد المجاهدين.
- الاستشهاد بمآثر السابقون.
- التحريض على الجهاد والدعوة إلى الاستمرار فيه حتى نيل الحرية.
- الدعوة إلى تحرير الوطن ورفع راية الجهاد لتخليص البلاد كلها من الأعداء.
- التأثير على قلوب المجاهدين بماله تأثير على الفكر والإحساس.
- البكاء بحرقة الكلمات لهزم مشاعر المجاهدين وإشعال فتيل الغضب في صفوف جيش التحرير الوطني.
- شحذ الهمم وهذا باختيار الجمل القصيرة المثيرة سريعة الفهم والتأثير.
- التكلم بلسان كل فرد ينتظر من أفراد جيش التحرير الوطني أن يخلصه ويفكه من أنياب المستعمر الغاشم وتطهير البلاد منه.
- التخويف من آثار القعود عن الجهاد.

وهكذا يدعو الشاعر إلى الصمود والثبات في وجه الغزاة ويذكر المجاهدين بأعمال هذا المستعمر البغيض وبثواب الله في الآخرة، لذلك نجد أن الشعور الديني بارزا في كل القصائد وهذا لما لهذا الأخير من تأثير في النفوس.

وهذه الفكرة نجده عند العلامة "**ابن خلدون**" الذي يرى أن الدعوة الدينية تزيد قوة على قوة "**العصبية**" والسبب في ذلك أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق، فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم، وهم مستميتون عليه، وكما وقع للعرب صدر الإسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين "**بالقادسية واليرموك**" بضعا وثلاثين ألفا

في كل معسكر، وجموع فارس مائة وعشرين ألفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي: "**أربعمائة ألف، فلم يقف للعرب أحد من الجانبين، وهزموهم وغلبوهم**" [18].

فهذه الفكرة الخلدونية نجدها متبلورة عند الشاعر الشعبي فالدين له جانب كبير في حياة الفرد المسلم، فنجده يتكلم على المساجد التي حولت إلى كنائس وإسطبلات والمصاحف التي حرقت ويربط هذا برباط محكم ليحرض المجاهدين بما يكاد يقشعر له الرأس من انتهاك للأعراض، صارخا بأعلى صوته ليهز الأعماق داعيا للجهاد ورد الغزو والويل لمن يتخلف عن تلبية نداء هذا الداعي.

ومنه فقد أصبح الشاعر الشعبي في الولاية الرابعة حافزا قويا على انتشار وعلى الاستمرار في الجهاد في سبيل الله والوطن وحافزا إلى الإعداد والاستعداد وجمع القوة وتجميع القدرات.

وبما أنه لا يعيش بمعزل عما يجري فعند قراءتنا لأي قصيدة نحس بخفقان قلبه لكثرة ما رأى وما أحس وعاش من أخطار التي تهدده وتهدد أهله، فحقوقهم ضائعة ودماؤهم سائلة ونسائهم مغتصبة وأراضيهم مباحة، وحين يبلغ به الحزن مبلغ هز الأعماق تخرج صرخات الاستنجاد بجيش التحرير الوطني الذي سيدفع ظلم المعتدي الذي وطئت أقدامه النجسة البلاد وهدفه في هذا هو إعداد المجاهدين واستعدادهم للمعارك.

وفي لقائنا مع السيد المجاهد: "**لخضر بورقعة**"، الذي كان يوم الاثنين 2014/11/13 ببيته، والذي صرح لي أن الشعر الشعبي لعب دورا كبيرا في الولاية الرابعة، وخاصة في تحريض وبث الحماس في صفوف المجاهدين وهناك شعراء شعبيين كثيرين في الولاية الرابعة ولكنني عايشت عن قرب الشاعر والمجاهد أحمد الحاج حمدي الذي كان ينتمي إلى "**الكتيبة العمايرية**" وكان يلقب بـ "**أحمد أرسلان**" نسبة لشدة تأثره بالكاتب "**شكيب أرسلان**"، حيث كان هذا الشاعر المجاهد يمشي مع وحدات جيش التحرير الوطني الذي هو واحد منهم، ويحرض المجاهدين وينمي فيهم روح العزيمة وحب الاستشهاد في سبيل الوطن وبكلمات مؤثرة تثير العواطف والأحاسيس يجعل المجاهد مستعد للموت في أي لحظة، وأنا بصفتي أحد قادة الولاية الرابعة كنت أحس أن الموت أمامي ففي حالتين، إذا واجهت جيش الاستعمار في اشتباك مباشر وفي الحالة الثانية إذا كان "**أحمد أرسلان**" معي فأكون في الحالة نفسية لا مثيل لها من شدة التأثير بشعره الذي يبث فيّ القوة والشجاعة وينزع من قلبي الخوف من مواجهة العدو مباشرة، فأخوض أنا و إخواني المجاهدين المعارك وأواجه الموت بدون خوف وعن قناعة تامة.

وكان الشاعر البطل يملك مصباح يدوي صغير يحمله في عباءته وفي الجبال والغابات وفي الظلام الحالك يخرج المصباح وورقة وقلم ويكتب أشعاره وكان يلقيها على مسامعنا قبل بداية المعركة ليبث الحماس في صفوف جيش التحرير الوطني ومرة أخرى يلقيها علينا عند نهاية المعركة أو الاشتباك ليرفع معنوياتنا وخاصة إذا كان هناك شهداء في صفوفنا [19].

وللشاعر عدة قصائد مازلت حتى الآن أحفظ بعضها إلى يومنا هذا منها: قصيدة "**ياسايلني**" التي كانت تؤثر كثيرا على صفوف جيش التحرير الوطني إلى درجة أن أغلبهم عند سماعها يجهش بالبكاء ويصبح مستعد للموت في أي لحظة [20].

حيث يقول الشاعر المجاهد فيها:

يا ســـايلني نعـــيدلك وأنت تقرا تاريخ الجهـــاد مـــن شاو أزماني
نحكيلك مـــا صرا في هذه الثورة أروي ذي الأبيات وانشـــد أوزاني
في أول نوفـــمبر قـــامت الثـــورة واجـــب الجـــهاد راهـــوناداني
يسانايم يكفيـــك قوم امع البكرة أسمـــع الآذان أي القـــرآنـــي
وطنـــك مـــريض يلزمـــلوا يبـــرا تشفيلوا الجـــراح ضر الدخـــلاني
هذه مدة قرون واحنا في حـــيرة نمشـــي في الظلام مشي العمياني
أصبحنـــا ضـــعاف مالنا قدرة ووليـــد الأوطان أضحى برانـــي
جيطان ومـــكار جـــانا مـــن برا يتحكـــم في رقاب أولاد الأوطاني
أصبح سيد النـــاس يزعم بالقدرة يسلب في حقـــوق مـــال الحقاني
اللي كان شـــريف ولا مسخرة يعبث بيه أطرانجي ولد النصراني
مســـاجـــد الله ولات اكـــوارة لصـــهـــيل الـــبغـــال لا للقـــرآني
خليـــني نبكـــي وانسي العبرة دمـــع اعلى الإسلام دين الرحماني
أنـــا انحب بالسيف نمسخ الكفرة مسخ الاندماج مسخ القـــرداني
يكفينا من الذل يا أصحـــاب الغيرة حريـــة الأوطـــان واجب عيناني

وحسب السيد المجاهد الرائد "**لخضر بورقعة**" أن القصيدة الطويلة وجميلة جدا ومحمسة وأحفظ كذلك من أبياتها الأبيات التي يهجي الشاعر المجاهد أحمد أرسلان فيها الجنرال " **ماصو**" ويقول [21]:

يا ماصو يكفيك أمن الزوخ والهـــدرة انـــت شـــيخ كبير عقلك صبياني
اتفـــكر جـــبالنا يـــا مسخـــرة راســـك راهوا شاب يوم الطيـــعاني
خرجو ليك أبطـــال في هـــذه الثورة شجعـــان وإيمان خفـــت فرســـانـــي
ايهجـــموا على البلاندي والطـــيارة الكـــورا ايزقلم كي ارعود شـــتواني
يحـــصدوا بالنار في هذه الكـــفرة مثل احصيد الشعير والا الخـــرطاني

اجمـــيع إلي جاو علـــى الكوبيّرات حصـــدتهم لامجـــي والبيـــــراني

تركوهم مسندين عـــلى الحـــجرة عـــول للـــذئاب في أولاد أسناني

نعزف بالرشاشة عزـــف القيطارة وانرقص جيوشك يا ماصو الجباني

اللـــي زرع الشر يحصـــد حصـــدة والشر المـــكتوم يـــوم الطيـــعاني

طيارات اطيـــح كي ورق الشجرة تقـــدي بالنـــيران اعـــلى الترباني

وحسب السيد المجاهد الرائد "**الخضر بورقعة**" إذا كانت هذه الكلمات تؤثر فينا ونحن اليوم نعيش الحرية فما بالك يوم كان الشعب الجزائري يعيش حياة الذل والقهر والمهانة [22].

لقد قاوم المجاهدون القوات الغاشمة رغم قلة الإمكانات ولقد رصد الشاعر الشعبي هذه الأحداث، فسجل الانتصارات المجيدة في المعارك تسجيلا كان يتابع من خلالها تفاصيل هذه المعارك وأثرها على النفوس، كما يمدح المجاهدين وقادتهم ويرفع من شأنهم، هؤلاء الذين يجاهدون لا من أجل أنفسهم وإنما لنصرة كلمة الحق ويحتسبونها عند الله يوم القيامة ولا يبحث في جهاده عن المطامع الدنيوية.

ولقد صار النصر حقيقة بهرت الأعداء لأنه ليس من الأمور الهينة، بعد أن أذل رقاب العدو وأخرجوه ذليلا مقهورا يجر أذيال الهزيمة.

خاتمة

وهكذا من خلال دراستنا نخلص لما يلي:

إن الشاعر الشعبي في الولاية الرابعة قد قام بدوره على أحسن وجه في التحريض على الجهاد والاستمرار فيه.

لقد ساير الشعر الشعبي الأحداث والمعارك وهب يسجلها لتبقى شاهدا للتاريخ، وبث في صفوف جيش التحرير الوطني الآمال التي يعلقها الأفراد عليهم، ومضى يمدحهم ويقوي عزيمتهم ويشيد بأعمالهم ومآثرهم ويشحذ قوتهم ويرسم لهم الخطط للتقدم نحو النصر.

إن الشعر الشعبي مصدر مهم لمعرفة جوانب مهمة من تاريخ الثورة التحريرية، وهو ما تدل عليه النماذج المدروسة والتي تمثل صفحات من تاريخ الولاية الرابعة التاريخية.

الهوامش:

(1) عمار عثماني: "**الشعر الشعبي ودوره في تعزيز الهوية والانتماء شعر نذير بلفضيل أنموذجا**"، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد 02، العدد 02، سبتمبر 2019، ص06.

(2) عباس العباسي الطائي: **الشعر الشعبي الأهوازي وأوزانه في العروض العربي**، ط1، دار العربي للموسوعات، بيروت، 2014، ص23 وما بعدها؛ محمد عبده غانم: **شعر الغناء الصنعاني**، ط2، دار العودة، بيروت، 1980، ص55.

(3) عبد الله ركيبي: **الشعر الديني الجزائري الحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص364.

(4) التلي بن الشيخ: **دور الشعر في الثورة (1830-1945)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص364.

(5) أبي الحسن علي بن الحسن الزبيدي اليمني: **طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن**، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان،2021، ص200.

(6) محمد صادق محمد الكرباسي: **الموال في دراسة معمقة**، بيت العلم للنابهين، بيروت – لبنان، 2003، ص15؛ نضير الخزرجي: **أشعرة البيان قراءة موضوعية في الموسوعة الحسينية**، ط1، بيت العلم للنابهين، بيروت – لبنان، 2012، ص69، 70.

(7) ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي: **الشعر النبطي دراسة تأصيلية على ضوء الكتاب والسنة**، ط1، دار البيان الحديثة، المملكة العربية السعودية، 2000، ص97 وما بعدها.

(8) محمد المرزوقي: **الأدب الشعبي**، دار التونسية للنشر، تونس، 1967، ص51؛ عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ص130؛ حسان عباس: **الموسيقى التقليدية في سوريا**، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اليونسكو، 2018، ص132.

(9) عروة عمر: **حياة العرب الأدبية الشعر الشعبي**، دار مداني، (د.ت) ، ص124.

(10) محمد مندور: **فن الشعر**، مؤسسة الهنداوي، المملكة لمتحدة، 2017، ص69.

(11) فضيلة دحماني: **الأنشودة الشعبية إبان الثورة التحريرية 1954-1962**، رسالة ماجيستير، تلمسان، 2009، ص34.

(12) التلي بن الشيخ: المرجع السابق، ص98، 99.

(13) عبد الرحمان بن خلدون: **المقدمة**، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2000، ص 33.

(14) ALBERT Memmi, **La poésie Algérien, de 1830 à nos jours** (Montier et co), Paris, 1963, p51.

(15) أحمد حمدي: **ديوان الشعر الشعبي**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د.ت) ، ص8.

(16) قلاديمير شكوروبوفانوف: **ما الذي أغفله الناشرون الفرنسيون عن الشعر الملحون**، المجاهد اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، العدد 670، جوان 1973، ص27.

(17) **الكروموزوم**: هو الجين الذي يحمل المورثات والصفات الوراثية التي سيتميز بها كل إنسان.

(18) عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ص 125.

(19) **شهادة لخضر بورقعة لقاء مع الباحثة**؛ وأيضا لخضر بورقعة: **مذكرات شاهد على اغتيال الثورة**، التحرير صادق بخوش، تقديم الفريق سعد الدين شدلي، دار الأمة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية الجزائر، 2000.

(20) شهادة لخضر بورقعة لقاء مع الباحثة.

(21) شهادة لخضر بورقعة لقاء مع الباحثة.

(22) شهادة لخضر بورقعة لقاء مع الباحثة.

قائمة المصادر والمراجع

– بورقعة لخضر: **مذكرات شاهد على اغتيال الثورة**، التحرير صادق بخوش، تقديم الفريق سعد الدين شدلي، دار الأمة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية الجزائر، 2000.

– حمدي أحمد: ديوان **الشعر الشعبي**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د.ت).

– الخزرجي نضير: **أشعرة البيان قراءة موضوعية في الموسوعة الحسينية**، ط1، بيت العلم للنابهين، بيروت – لبنان، 2012.

– ابن خلدون عبد الرحمان بن خلدون: **المقدمة**، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2000.

- دحماني فضيلة: **الأنشودة الشعبية إبان الثورة التحريرية 1954-1962**، رسالة ماجيستير، تلمسان، 2009.
- ركيبي عبد الله: **الشعر الديني الجزائري الحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.
- بن سعد آل حمدان الغامدي ذياب: **الشعر النبطي دراسة تأصيلية على ضوء الكتاب والسنة**، ط1، دار البيان الحديثة، المملكة العربية السعودية، 2000.
- شكوروبوفانوف قلاديمير: **ما الذي أغفله الناشرون الفرنسيون عن الشعر الملحون**، المجاهد اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، العدد 670، جوان 1973.
- شهادة لخضر بورقعة لقاء مع الباحثة.
- بن الشيخ التلي: **دور الشعر في الثورة (1830-1945)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- الطائي عباس العباسي: **الشعر الشعبي الأهوازي وأوزانه في العروض العربي**، ط1، دار العربي للموسوعات، بيروت، 2014.
- عباس حسان: **الموسيقى التقليدية في سوريا**، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اليونسكو، 2018.
- عروة عمر: **حياة العرب الأدبية الشعر الشعبي**، دار مداني، (د.ت).
- عمار عثماني: "**الشعر الشعبي ودوره في تعزيز الهوية والانتماء شعر نذير بلفضيل أنموذجا**"، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد 02، العدد 02، سبتمبر 2019.
- غانم محمد عبده: شعر الغناء الصنعاني، ط2، دار العودة، بيروت، 1980.
- كنون عبد الله: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- محمد الكرباسي محمد صادق: **الموال في دراسة معمقة**، بيت العلم للنابهين، بيروت – لبنان، 2003.
- المرزوقي محمد: **الأدب الشعبي**، دار التونسية للنشر، تونس، 1967.
- مندور محمد: **فن الشعر**، مؤسسة الهنداوي، المملكة لمتحدة، 2017.
- اليمني أبي الحسن علي بن الحسن الزبيدي: **طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن**، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان،2021.

المراجع بالأجنبية

- ALBERT Memmi, **La poésie Algérien, de 1830 à nos jours** (Montier et co), Paris, 1963.